بعضُنا الآخر
مجموعة أدبية
الإشراف العام:
إيمان الكارنة

فريق أحفاد المُتنبي

يقدم لكم كتاب: بعضك الآخر

أحفاد المتنبي

العمل السّادس

2024

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2024/8/4538)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	بعضُكَ الآخر
تأليف	السكارنه، ايمان خلف عيسى
تأليف (آخرون)	ابو غنمي، نوره محمد ذيب. وهدان، عمر محمد علي. عزام، ساجدة محمد احمد. يوسف، ضحى نظمي طاهر، الفقراء، هبه جاسر حمد طاهر.
بيانات النشر	عمان: ايمان خلف عيسى السكارنه، 2024
الوصف المادي	71 صفحة.
الطبعة	الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة ويُمنع طبع أو تصوير الكتاب أو إعادة نشره بأي وسيلة إلا بإذن خطي من المؤلف وكل من يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

الطّبعة الأولى. 2024

المحتوى

الإهداء ..... إيمان السكارنه
المُقدمة ..... إيمان السكارنه
كنتُ لي ..... إيمان السكارنه
بُنية العينين ..... ضُحى نظمي
عادَ المطر يا حبيبة المطر ..... ساجدة محمد أحمد العزام
هل يخشى الطائر سم الأفاعي؟ ..... هبة الفقرا
عندما تستيقظ الروح ..... نذير محمد باكير
ثلاثون ربيعًا ..... نوره محمد أبو غنمي
آخر ما قيل ..... سلسبيل حمدان
إنسانٌ بجُندي ..... عمر محمد وهدان
الخاتمة ..... إيمان السكارنه

المُقدمة

هلع قابع في رفِ الذّكريات، كيف لنا أن ننزعه منا، أن نخفيه، دون الزّوال منا دون الفناء والرّحيل!..

من غيرِ الشّعور بأن هذا محض خوفٍ مضطرب، يعيشُنا بِكُلِّ مسامِ تفاصيلُنا، بِكُلِّ ما فينا..

هذا الشّعور شاب لا يتقدم بالعمر، لا يعرف المشيب، لا يموت حتى..!

ستة نساء ورجلان وكتاب بسبعينِ صفحة رُبما، وقلمٌ أنيق يكتب كُلّ ما فينا من شعور، لننفصل عنّا كما لو كُنا شخص آخر ويرتدَّ إلينا فزع محصور وفرح مشجون وفَوضى من عبث،

هكذا كُنا ثمانية أشخاص وثمانية أخرى منا.

إيمان السكارنه

الإهداء

لآخرِ ما تبقى مني..

وأحاوره.. لا لشيءٍ إلا لأجلِه،

وإني لأحبه،

كنتُ لأرافقه العمر كُلّه نحو ما يريد،

وكما لا أريد،

أعانقهُ، أحادثهُ، ألملمُ شتاتهُ منهُ وإليه وأضمهُ..

أجمعهُ، أرممهُ لأنه يغدو مني وبعضي وكُلّي،

فأقودهُ نحوي وإلي..

لأجدني بعد فقدي.

إيمان السكارنه

كنتُ لي

عشرون احتفالًا قمت بهم للآن ولا أعرف لِماذا! الأن حياتي تقترب من الانتهاء عامًا آخر! أم لأني لم أنجز شيئًا في هذا العام الذي ذهب سدًا!

عشرون عامًا من الذّعر المؤكد والسّعي وراء كُلّ الأشياء التي تُعنى بالفناء بمجردِ الوصول لها، من الكسر والشّدة والحدود الفاصلة بيني وبين ما أريد، لا مكان للضّم، ولا مقر للسّكون سوى في سجيتي وهيئتي.. وجوفي يُجن، وجميع حبال الوصل قطع، ما أنا إلا شخصًا هاربًا وتائهًا،

مذعورًا وخائفًا،

وحيدًا ومتوحدًا وسط الجميع..

والعمر هو عداد الموت المُطلق،

على جدارِ وحدتي أعلق صورةً لي مع نفسي، كانت ساحتي وباحتي ومرآتي الموحشة التي تجبرني كرّهًا وترميني خلف كُلّ الأشياء المؤنسة.. بعدَ أن تنتهي، بعدَ الآوان وفواته،

كنتُ كالظّل وسط كُلّ الأشياء المُشرقة،

كالظّل مثل تلك التي تستقر تحت عيناها المواربة التي تختلق الأسباب لكوني سعيدًا ولستُ كذلك،

ناداني أحدهم وكان لصوتِه طرب يسرُّ السّامعين، التفت نحوه ونحو عبث الغَيب أتجه، ناظرتهُ وكانَ على مقدمةِ صدّرهِ الكثير لقولِه، ابتسمَ وحارت أفكاري بأمرِ ابتسامته! صمّتُ.. والصّمت موسيقى هادئة وخاشعة، لم يتفوه بكلمة.. لقد صامَ على ابتسامته تلك ولم يفطر بالكلام، مللت.. صغتُها بمهارةٍ مُطلقة ورحلت، ناداني مرةً بعد،

لم استجب!

كررها مرة ومراتٍ عديدة حتى فاض بي.. التفتت!

وظننتُني ابتعدت..

لم أبتعد خطوة حتى! وكأن الطّرق لا تعرف سواه، الجزع يلحفني ومساحاتٍ صامتة وممتدة من الذّهول تسكن خلايا مخي، طأطأت رأسي لا جرأة لدي لرؤيته ثانيًا بعد ما حدث، ما إن رفعته مرة أخرى وضع كفه

السّمين على كتفي وابتسم، وكأنهُ لا يجيد سوى ذلك! بادلته الابتسام بابتذالٍ وذُعر، فقال: لا تقلق أنا هُنا من أجلِك..

– من أجلي؟

= أجل من أجلِك.

– من أنت؟

= أنا الفن الذي لا يُتقن، أنا المنطق الذي لا يُصاغ، أنا أصل الفَوضى والعبث المُتقن، أنا أَبلغ من أن يصيغني أي شاعر هزيل، أخلعُني فترى النّور، أنا كُلّ الفتوات والآيات والإشارات لترى! كُلّ هذا لأجلك! لأجرّك نحو النّور، نحوي! أو نحوك! ألا يكفي لهذا أن يوقظك! أن يُشعرك بذي قيمة! أن يُحسنك! اترك كُلّ هذا الهراء وانظر لهيئتك الصّائبة، واصعد لذاتِك الحقيقية.. اذهب لآخر النّفق! لنّهايةِ كُلِّ خرافة تعيش بها وتحجز نفسك جوفها، إلى النّور الذي صُنعت منه، اركض في ضيق الرّصيف، على أركان الشّرود، على كُلِّ غفلةٍ منك.. اركض ولا تستجيب لأي معيقات أمامك، في قلةِ حيلتك وقصر قامتك لا تتوقف، كُف عن انسجامك بوحدتك

وتناهيك عن جلدِ ذاتك.. فهُناك أنت، بربِ هذا القلب السّخيف –**وأشارَ لقلبِه**– مكانكَ تحت سقف الشّمس لا غُبار الشّوارع! أنا الذي سأدلُك لذاتك، لحقيقتك، ولضّعف استيعابك لِما سأقول! انظر!

انظر يا سيدي.. يا سيدي أنا أنت.

– كم بقيَّ من الكلام لقولِه!

= كُلّ الكلام.. فهذا لا يكفي ليشرح ملامحك الباهتة والمُتغطرسة، ليعرب تفاصيلك المُبهمة، أن يضعك بجملةٍ مفيدة، جسدي الذي يكبُر لا يريد سواك، جسدي الذي بدأَ يعجزُ عن الحراك يهتم لشأنك، أكره كُلّ شيء فيَّ وأحبك، أُتابعك بِكُلِّ مُخلفاتِ دموعِك فأجدك، لن أسمح لك بأخذِك للعدم! لا أريدُك توثب بين وهمٍ ووهم، أن تعيش الخرافة! أن ترقد على أعتاب الفشل وترحل! لا أريدُك أن تُفنى وكأنك لم تكن!

– فيَّ رغبةٍ مزدوجة.. أن أصفعُك وأضمُك! أين كنت

كُلّ هذا؟ أن تنتظرني أهلُك ثُمَّ تعود! أتريدني أن أتلاشى! أن تسحبني من ذاتي وترحل ثم تعود كيفما تشاء! فتنسى نفسك وتُنسيني إياك! أن تجرفني مني وكُلّي! أين كُنت ها! كيف لك أن تحقق وجودك برحيلِك عني؟ هل هذا هو أنت الذي هو أنا؟

= لطالما كُنتَ لغز يصعب حلّه، لم يفهمُنا أحد حتى نحن، نحنُ أجدر من أن نكون في هذهِ الحياة، مكانُنا في السّماء، هُناك فوق كُلّ شيء، نحنُ نجوم هذا الكون العبقري، ليس من حقك معاقبتي فتركي إياك كان من غير عنوة عنك، بذلتَ نفس الجريمة وأنت أول من تخلى وخان، كونك المُتيم هُنا لا يعني أنني الجاني وأنت المُجنى عليه! كُنا كلانا قاتل ومقتول، ولكني هُنا لأصلح كُلّ هذا!

– كُفّ عن إغراقنا أكثر وصلنا للقاع! العالم أكثر سُميّة مما تظُنّ!

= لهذا السّبب أنا هُنا، سأجد دائمًا التّرياق لكُلِ شيءٍ يُعرقل خطوطنا الجادة، سنصلحُ أي خطيئة اقترفناها سويًا، فاضَ بي

كُلّ الجنون المُحتمل وسنعيشُ هذا معًا، أرجوك دعني انتشلك من الضّياع.. لا تردَّ يدي وحيدة من غير يدك!

~ لم أفوّت يده وأمسكتُ بها، ولوهلةٍ ما إذ بي أصافحني!

***

تواصلتُ مع نفسي واستطعتُ الإمساك بها بعدَ إفلاتي إياها! وودتُ للسّعي خلفَ كُلّ الأشياء التي نشبت في طرفِ حلقي قهرًا لفقرِ إحرازها، كان الجسد ثملًا معتوهًا ومختلًا كورودِ المقابر يذبلهُا الاشتياق! ولكني استنجدتُ بي وبكُلِّ أمرٍ صواب يقترنُ بذاتي ويستجيب لمراسيلِ استغاثتي لي من جموحِ الحياة.. حمدًا لله أني عدت، لم أكن لأدفع ثمن هذا وحدي، حانَ الوقت لأمتطي أحلامي نحو الانتهاء، وأردت عند الفوز الصّلاة في ظلِّ صومعة النّجاح تبجيلًا للشّكر، ومع أول سجدة لي اكتظت مشاعر لا حصر لها عند بحوي بالدّعاء، ضاعت كُلّ المفردات، وتاهت مني جميع المعاني، ولكنني بكيتُ خاشعًا مُتبتلًا مُستسلمًا لك يا الله..

تحتمَّ عليَّ النّجاح لأبرهن إني حي، وأتفرد بالأفعالِ والأقوال.. للوصول، للرّفعة، للإنجاز، لأكون أنا من جديد.. في أرضٍ جديدة وحياةٍ خصبة، سأزرع الأماني، سأحصد النّجاح، وأخيرًا سألقى ثمار إنجازي.

إيمان السكارنه

بُنِيةَ العَينَين

كيف حالكِ يا بُنيةَ العينين؟

كيف حال أيامكِ وأنتِ على مشارفِ العشرين من عمرك؟ كيف أصبحتِ بعد توديع الثانوية والاستعداد للمرحلة الجامعية؟ هل اخترتِ الجامعة والتخصص الذي كنتِ تحلمين به؟ أم شاء الله لكِ الأفضل؟ هل رضيتِ به؟ هل راضية عن نفسكِ؟ هل أصبحتِ فخورةً بنفسكِ بعد هذا التعب، المثابرة، الكد، الاجتهاد والكفاح حتى وصلتِ لهذا النجاح؟ هل حققتِ أهداف ونجاحات أخرى أم اكتفيتِ بتوديع الثانوية؟ هل لا زلتِ تحبي تعلم الأشياء الجديدة وتسعين لتطوير نفسك؟

هل لا زلتِ فضولية في كل ما يدور حولكِ؟ هل لا زلتِ متقلبة المزاج؟ هل نأت الفوضى داخلكِ؟ هل بَقِيَت هواجس القراءة والكتابة معكِ؟ هل لا زلتِ مُتيمة بشراء الكتب والأقلام والدفاتر؟ هل لا زلتِ مُتيمة بالتصوير؟ وهل وهل وهل...؟ أود

أن أخبركِ باستقامة إنكِ متينة وصارمة تجاه حلمك وكيفية تحقيقه، هل تذكرين كيف كنتِ مُتماسكة بمرحلة الثانوية؟ كنتِ ضليعة نفسك وعزمتي على تحقيق هذا النجاح بالرغم من وجود معيقات حولك من بيئة ومجتمع وحتى الأشخاص الذين يحيطون بكِ، صنعتِ من داخلكِ فتاةً حديدية قادرة على أن تتخطى العوائق أمامها، كنتِ صنيعة كل هذا، تعلمتِ من أخطائكِ وندوبكِ وها أنت بفضل الله ثم جهدكِ تنسلين خيوط نجاحكِ وتكتبين إنجازاتكِ. أراكِ بمراتب أعلى وأفضل لأنك صاحبة رؤية ولا تتوقفِ إلا إذا وصلتِ، حقًا أنا فخورة بكِ.

~ قفي بشموخٍ فلازال أمامكِ الكثير والكثير.

لا تنسيّ أن تبقِ مبتسمة، واستمتعِ بحياتكِ؛ بالحُب والصداقة وإياكِ أن تتغيري. حافظِ على كل سِماتكِ وميّزاتكِ وابقِ كما عرفتُكِ قوية، طموحة، محبة للحياة، حازمة تجاه حُلمُكِ، لا تتخلين عن أي شيء تريدينه، وابقِ متماسكة، مجتهدة، ومثابرة،

تذكري أنتِ صاحبةُ القرار وإذا حدث شيء وشعرتِ بلحظة ضعف، اتركِ كل شيءٍ لله؛ لعلها تأتِ كما تمناها قلبكِ.

ضُحىٰ نَظمي عَزام

عادَ المطر يا حبيبة المطر

في منتصف الليل، تجلس أميرة حزيران على أريكتها بجوار مدفأتها حيث عاد طقسها المفضل، ورائحة القهوة تعطر المكان، أثر جسدها في غرفتها؛ لكن عقلها قد سافر يبحر من خلال نافذتها مع حبيبات المطر، كم تُسحر النجوم بلون العسل في عينيها عندما تبرق الغيوم في السماءِ فتلمعان، وكأن البرق حدث عندما شاهدت الغيوم عيونها فتبعثرت واصطدمت ببعضها، أرخت أناملها ونثرت أوراقها وبدأت مشاعرها تُخطُ وتكتب، لقد كانت النيّة أن تكتبَ عن حبّ طفولتها؛ لكن مسلسلًا تركيًّا قد أعاد توازنها، مسلسل عطيّة حيث كانت عطيّة تأخذ كل من يرغب من الحاضر للماضي أو تسافر به عبر الزمن من الماضي للحاضر، أما هي فإنّها ميّالة للماضي وشغب الطفولة، فخاطبت عطيّة في عقلها لعلّها تنجو من حاضرها قليلًا وتسكن ماضيها، أغمضت عينيها وما زالت أناملها تنتظر الوحي لتكتب، اشتدّ صوت المطر فاستيقظت بجوار دميتها التي طالما كانت تصارع أختها عليها كي لا تعبث بها، كان الماضي ينتظرها

ليس ليعيدها لأيامها بل ليسألها عمّا جرى في حاضرها وماذا فعلت وأين وصلت؟ كانت قد أحضرت كوب قهوة واحد لكنه انشطر لكوبين، لها وللماضي وكأنّها في لقاء صحفيّ توترت وبدأ قلبها يرقص، وأصابع يديها وقدميها تهتز كزلزال يحدث بجسدها، يا ترى كيف ستجيب وهل ستكون نفسها في الماضي راضيّة عنها بالحاضر؟

هل ستعضُ أصابعها ندمًا لأنها تمنت أن تعود للماضي؟ نظرت لِحجرها وإذ به ألبوم صور وأشرطة فيديو وبعض الأحلام والأمنيات خطتها في دفترها أنّها ستنجزها، نظرت لأول صورة وإذ بها تتحدث معها حيث كانت بالابتدائي بضفيرتيها اللّتين تحضنان كتفيها اليمين واليسار، تذكرت تلك الصورة جيّدًا عندما كانت تتنافس مع صديقتها الأولى على الصفّ وأيهما سيحصل على شهادة تقدير ولقب الأولى، كانت دائمًا شادن تسبقها لطالما تعبت أمها على تتدريسها

ليلًا نهارًا ولكنّها كانت تفرق عن الأولى بعشرٍ في المعدل، كان حلمها ولو لمرحلة دراسيّة واحدة أن تحصل على لقب الأولى على الصفّ، كانت الثانية وتارةً الثالثة على الصفّ لكنّها كانت تحصل على معدلٍ عالٍ؛ مشكلتها الوحيدة أنّها غير راضيّة بالأقدار المكتوبة ولو تعلم أنّها خير. نظرت لمراحل طفولتها وكل صورة كانت تتحدث معها وتسألها عن حالها، ثم تكبر فيها عامًا تلو عام، ترى فيها تضحيات أمها كيف تكون البنت المثاليّة والتي يحتذى بأخلاقها وترابيتها. أخذت فاصل استراحة لترتب حديثها ثم غرقت في لحظة صمت لينتج عنها حديثها البارع مع ذاتها الجالسة على الأريكة التي أمامها وهي تحتسي قهوتها، تنهدت ثم قالت: إليكِ يا أنا، لم يكن وصولي لهنا سهلًا لقد صفعتني الأيام كثيرًا ولكنّي نسجتُ من الصفعات حجابًا واقيًا من الحذر والتعلم، لقد مررت بتجارب قاسيّة في الماضي وآخرهنّ كانت النهايّة لكنني لم أستسلم وقفتُ ثابتة رغم كبر حجم الانهيار الّذي بداخلي، مررت بحروبٍ كثيرة في حياتي معكِ لكنني لم أهزم يومًا، لإنّ الهزيمة

تعني الجلوس دون السعي نحو القدر والأحلام والطموحات. إليكِ يا أنا حيثُ أنجزتُ الكثيرَ مما كنتُ أحلم به، ها أنا أصحبتُ الأولى على مثيلاتي بالعمر، الأولى الّتي قد حصلتُ على الدكتوراه لطالما حلمتُ أن أكونَ الأولى دومًا، لقد كانت تسندني طوال حياتي دعوات أمي وتحصيناتها فلم يكن وصولي هنا بمجهودي بل بدعواتها وحثّي المستمر أنّني أستطيع ولا شيء يمنعني من الوصول للقمة.. إليكِ يا أنا لقد أصبحتُ أقل حساسية من الماضي، كانت ترهقني حساسيتي من أتفه الأمور ودموعي تهطل من أبسط الأشياء، تعلمتُ الكثير، تعلمتُ الرضا بالقدر والقرب من الله، وتعلمتُ أن التعلق بالله سبحانه هو الوحيد الّذي يستحقُ العناء، لم تعد تغريني البشر بحماس بداياتهم معي بالعلاقات، ولم أعد تلك الفتاة التّي تتخبط يمنة ويسرة إذا تغيّر عليها أحدهم، أصبحت في عناقٍ مستمرٍ مع فن اللامبالاة من تصرفات البشر، لكنني ما زلتُ

تلك الإنسانة الحنونة المعطاءة المضحية كما عهدتِني، وما زلتُ تلك الإنسانة التي إن طُرق بابها يومًا من صديق أو عدو أو غريب سائلًا حاجة ما، فتحت له الباب وسعت جاهدة لتلك الحاجة، ولا أنتظر مقابلها خيرًا من البشر بل لطالما انتظرت من رب البشر، لقد وصلت لكل أحلامي وطموحاتي بسعي المستمر وها أنا أسعى لتلك الوظيفة التي طالما حلمتُ بها وكلّي ثقة بأنّ رب الكون سيعطيني إياها. ما يسعدني حقًّا يا نفسي أنّني تعلمتُ من صفعات الماضي، كانت دروسًا قوية صنعت منّي أنثى لم أكن أتوقع أنني سأكون تلك الأنثى يومًا ما، كان الماضي قاسيًا جدًا وأيامه قارصة جدًا لكنني تخطيتها والحمدلله، إنّني راضية عن نفسي تمامًا ولما وصلت إليه وما خسرته أيضًا، فخسارتي لكل الأشياء التي رحلت كانت مكسب بالنسبة لي، يكفيني أن الله هو أُنسي ورفيقي وصاحبي الوحيد الآن، ومن كان الله معه فمن عليه يا نفسي. كانت تنظر إليها نفسها في الماضي نظرات فخرٍ واعتزاز، لطالما انتظرت هذه اللحظة بأن تصل إليها، وعندما انتهت من كوب القهوة قامت

واحتضنتها وألبستها قلادة الفخر كهديّة تعبر بها عن سعادتها بها، ثم فارقتها رويدًا رويدًا لا يُكاد يسمع همس قدميها، وامتزج الكرسي الآخر مع كرسيها حتى أصبح واحدًا، وكوب القهوة أيضًا عاد واحدًا، وبينما هي تودع ماضيها، استيقظت على اهتزاز رعب نافذتها من صوت البرق والرعد، فاحتضنت مدفأتها وابتسمت وقالت: الحمدلله على ما أنا عليه الآن، ثم لمست بأناملها رقبتها فإذ بعقدٍ قد زيّن رقبتها كأنّه من الجنّة لا مثيل له في حاضرها.. من هنا علمت أنّها في الطريق الصحيح للوصول لكل أحلامها، ولتكمل بناء ما هدمته السنين من أيامها وأنّ ماضيها راضٍ عنّها كل الرضا.

ساجدة محمد أحمد العزّام

هل يخشى الطّائر سُمَّ الأفاعي؟

الماضي: أُفْعُوان

الحاضر: طائِر الكاتب

بدأ الأُفعوان:

– كيف للسُمِّ أن يُداوي؟ وكيف تقوى على العيش؟

= رد الطائر: عندما يبتلع الظلام كلَّ شيء هل للأبيض والأسود التّلاقي؟ أبدًا؛ لأن السواد يبتلع كل شيء لكنّي أُجبِرتْ، وما عُدت أرى سوى رماديتي، إن كُنتَ لا تعرف وجهتك لماذا أخذتني؟

– أحببتُك بتناقض، وودتُ قتلك وأعجبتني قوتك لذلك حرمتُك من حريتك عِشْتَ سنينَ داخل قُضبانٍ حديدية ولم تسقط.

= أحببتني!!!! رجوتُك بأن تُفلتني ليلعنك الله، جعلتني أختار وجعًا من بين وجعين، مثلًا أن أبتُرَ بعضيَ لأُنقض بعضيَ الآخر، سرقتم أمان قلبي أصبح كل شيء يُرعبني بكيتُ بشِدّه، في كل مرةٍ ومُرة يتكرر هذا الشعور وفي كل مرة أعيش هذا الحزن وكأنها المرة الأولى، أضمُم جناحيَّ خوفًا من أن أُلامَ على

أنينَ روحي ورعشة فؤادي، تخيّل أني لم أعش وجعًا واحدًا من بين أوجاعي؟ أدركتُ مؤخرًا نزيف قلبي وقلة حيلتي.

– حاولتَ الاختباء حتى لا يرى أحد كل ذلك، حتى لا تُتَهم بالانهزام تهاب كل شيء لا أحد يعلم ما مرَّ عليك ولا أنت استطعت الشرح ولا يوجد شيء تقوله أنا وحدي نظرتُ إليكَ داخل القضبان وحدك في مواجهة الخوف والارتباك والصدمة والمرض والخيبة والانكسار ورأيتُك أيضًا في مُجابهةِ خصومًا عزيزة وجميعها تنحر الروح ولساني يردد بمرارة دائمًا ألم يمُت؟ كان هذا أصدق تعبير رأيتُه لجميع أمارات الانكسار.

= أتذكر أن في محاولتي الرابعة والسبعون في تجاوز هذا الوجع ويبدو أني لن أصل للمرة المئة إلا وقد أصابني مرض مُميت من فرط التفكير والكتمان، أن أكون مرفوض من الجميع هذا وارد القبول لكن خوفيَ الأعظم أن يأتيَ يوم وأرفض نفسي به وبشدة.

– قد كان الحصول عليك صعبًا دائمًا تتصرف بعُدوانيه لذلك تدّخل السجّان وتذللّتَ لأجل لقمةِ عيشٍ واحدة، رغبْتَ بالموت دائمًا لكي تنجو، حاولتُ أنا التدخل لكن بتردد.

= وهبتكُ حقيقتي وهذا أعز ما يُمكنني فعله وحاربتُ بوَجهٍ حقيقي جعلتني أُدافع عن نفسي أمام السجّان وأنا تخيلت أنك عرفتني وتقبلت رماديتي وصدّقت لحظات انهيار كتماني وعُدوانيتي التي استغربها الكون ما كانت إلا وسيلة للدفاع عن نفسي التي شارفت على الانتهاء، وذلك الخوف وعدم الأمان جعلني أشعر بالهروب دائمًا من كل شيء.

– قيلت بسُخرية: ما زِلتَ تملك نيّة طيّبة أردتُ التدخل لنهْشِك واستغلال ضعفك وأَسْرِك، وضعتُ سُمي حيثُ موضِعَ شُربك لكنك سقطتَ مغشيًا من سوء حالتِك ونجوت مرةً أخرى مني.

= يا لقبحك هذا ما رِدته لي! ظننتُكَ صادقاً عندما واجهتني أول مره و نطقتَ لي بوعدٍ وأنا بنيت قلبي على ذلك، أكانت حتى المفاوضة كذبة؟

مطلوب من هذا الطائر مسامحة المقص عن قص جناحيه

– هجرتُك سنين أتعلم لماذا؟

= قبل أن أعلم أريد إخبارك عن فِعلةِ السجّان، عِشتُ بين القُضبان ما وددتُ أبدًا نتفَ ريشي تمنيتُ لو أنَّ ما شعرتُ به جدارًا كنت قد اعتليته ولو أنه فريسة لنهشتُها، لكنه شعور بأن الحرب ليست عادله وأنا أسيرًا مبتور الجناحين كان الأمر كثيرًا عليّ قد رجوتُه بأني لا أستطيع العيش إلا بموطني، خِفتُ من مرارةِ العيش واستحالةِ الهروب، ياآاه كيف أجمع بينهم؟! قد استهلكتُ نصيبي من القلق في كل مرة أنظر بحسرةٍ لذاتي العزيزة والقضبان حولي راسيه لا تزول، تذكرتُكَ دائمًا وعشتُ على أمل، راودني كثيرًا الشك بالغدر لأن الأصل غلّاب مهما حدث، رغم علمي بذلك صدقتك، أين أنت! أغرقتني بالتساؤلات ولم تُحاول من أجلي وهذا جُرحٌ آخر في غيابك

~ قد تمسكتُ بأملٍ من وعدٍ مسموم يا لقلةِ الحيلة

أرعبني حجمَ عاطفتي آنذاك إليك وبما أستطيع فِعله وتحديه من أجلك وأنت لا تعلم حتى. تكرار المشهد كل ليلة أرهقني لم أعرف طريق تجاوز الخيبة كيف أسلمتني للسجان والقضبان والمقص؟ خذلتني أمام نفسي قبل الجميع، بربكَ أأستحق ذلك؟!

– لا أملكُ إليكَ إلا الرغبة الشديدة بالموت وإن لم يقتُلْكَ سُمِّي حشدتُ الشر من جميع خلق الله وما زِلتُ أسعى، كيف استطعت النجاة منهم؟!

= كلفني هذا الصمود أن أبتلع مخاوفي وأمضي بقلب مثقوب جميع ما أبقيتُه خلفي رماد، قد شعرتُ بالصقيع مره داخل القضبان ومن بعدها لم أشعر بالبرد أبدًا، كم مِتُ لأجل أن أحيا، وما اخترت هجرةً لي، تظاهرت بالقوة حتى امتلكتُها ولم أعرف التلوُّن وأنا رماديّ.

– عن أي قوة تتكلم أيها الأبتر خصمك من وسوس للشيطان وأخرج بني الإنسان من نعيم الجنان ما نفع قُوَتِك أنت الآن وبعد فوات الأوان؟

= تركتُها لله حتى رضِيت فأعطاني، وخرجتُ مبتور الأجنحة ومشيتُ على أقدامي فترة طويلة شعرتُ بعجزٍ لأني ما عدتُ أملك موطني.

– انتظرت خروجك بكامل صبري وتشكلت على الأغصان وبين الحشائش مِرارًا أردت غرسَ سُمي بين ضلوعك كانت متعةً لي انهياراتك وما أعظمها انهيارات شموخ طائرٍ حُر.

= كانت مجرد استراحة ألا يحق لي الاتكاء عندما لا أستطيع تحمُّل هذا الظلم وحدي؟ وقد تخطى حاجز الصمت! أنا نسيت من أكون.

– كنتَ شجاعًا لكنك لم تعد!

= لابُدَّ أنك لم تعرفني!

– عرفتُك جيدًا لا تُكثر الشكوى وصمتُك مَهيب، هجوتُك للجميع وأخبرتهم بأن هذا مرضٌ خبيث وأخبرتهم بسوء حالتك النفسية وأنك لن تتعافى ولن يتقبل لا صديق ولا حبيب أنت لا تملك أهلاً ولا وطنًا ستبقى تائهً إلى الموت.

= وما ضرَّني وإن هجوتني! اللعنة ترافقكم أصبح لساني ينطق بِدونيَّة (دناءة). وقلبي يقسو رغم رقته والشر يُراودني مِرارًا رغم فؤاد الطير الذي يسكنني، لا تدَّعي معرفتي أبدًا ما رغبتُ به حقًا العودة للسماء ولم أُبيّت أي نية للانتقام.

– لن تعود الجميع يهدم بك طاقة التحمُّل لديك لم تعد بالوجود وأنت بهذا العجز.

= تحمّلت السجّان والمقص ولسانك اللعين والقضبان أوَ قد أعجز عن قتلك وأنا طير حُر؟

– أنت حتى تخشى الاستناد على الأغصان، تخاف السقوط لأنك وبجميع محاولاتك للنجاة سقطْتَ طريحًا.

= أيخاف طائرٌ من غُصنٍ هش؟ اليوم ما عدتُ أستند على الهشاشة قدّر الله لي وتحررت من عشاق العبودية ولم أمس جمادً بسوء، رغبتي جامحة أريد أن أنجو، طهارة قلبي وبراءته لا يليق بها مستنقعكم فأسوأ عيوبي لا يليق بها أن تُقارن بالعظمة لديكم وها هي أجنحتي سوف تطير مرة ثانية وأثق بها تحلق عاليًا وتبحث عن غصنٍ أكثر صلابة.

– وإذا كان السقوط بالغدر ما هي الحُجة؟

= والغدر من شِيَم الضُعفاء ولكنك لن تفعل أكثر من إرادة الله لي عندما خرجت مبتور الأجنحة، حُرِمتُ من الطيران وما عُدتُ أرى موطني، تائه.. حتى أني نسيت طريق العودة وطريق العودة نفسه يرفضني، على أرض جرداء يابسه ما استطعتُ التكيُّف، حاولتُ مرارًا وتكرارًا دعوت الله استنجدت به سبحانه أصبحتُ حطّابًا داخلَ غابة ازدتُ قوة ومن بعدها قسوة فاستطعت النجاة، باحثًا بين الحشائش لأبني نفسي من جديد بشكلٍ لا يُشبهني أبدًا.

– وبين الحشائش انتظرتك؛ لأضع سُمي وسط فؤادك.

= يا ألف مرحبًا سأُسعد بتلك اللحظة فما ضر ريشي سُمك؟ لن أسمح اليوم بأن أخسر ولو جزء بسيط من ما استعدته بشَّقِ الأنفُس والله وحده يعلم حجم المكابدة.

– رأيتكُ تحاول مرارًا كِدتُ أليك ولساني يردد بمراره كيف لجسد أن يحيا بلا روح؟ يا لجبروتك!!

= رأيتُ بأني أملك ألوانًا غير الرماد فنظرتُ إليها وما خصني العالم بشيء كانت مُخيلتي تُواسيني دائمًا ولستُ أدري هل لي نصيب من خيالاتي!

– دائمًا جعلتكُ تغرق بالتساؤلات حول نجاتك، أغرقتُك بي وحرمتك سنين حياتك كُنت طوق النجاة بالنسبةِ لي وأنا أحببتك ذلك.

= ليلعنك الله في كل حين أنا لستُ احتمالًا تُجازف به ولا موضعًا لِتَردُد؛ لأن الرغبة الحقيقية ليست موضِعًا للشك، كانت جميع التساؤلات مثل الرصاصة وسط قلبي داهمْتني دفعةً واحدة أكنت تعلم بأني فرد؟ والكثرة تغلب الشجاعة، وقد غلبتَ شجاعتي.

– إذًا هُزمت؟

= نعم لقد هُزمت، حاربتُ بمعركةٍ خاسرة بحثتُ عن أي نجاة في هذا الطريق شعرتُ بأني سأبقى طريحًا للأبد ولا يوجد بدايات ولا نهايات ولا أي تدخلات.

– اشتقت لكل شيء أتعبك، سيبقى فحيحي داخل رأسك كشيطان رجيم أفعلُ الفِعلَ بك وأُنشِأك كما أشاء.

= واصل الاشتياق، أريدك أن تتألم لأني ما عُدت خائف فالهزيمة للأقوياء فالجبناء لا يقتربون من ساحةِ حرب، وتصالحت اليوم مع هفواتي وأنها نُدوبي خُضتها وحيداً وسأعيش اللامثالية وأني قد أصيب وأُخطئ ورغم هذا كله أنا أتداوى ذاتيًا أليس هذا أمرٌ مُعظّم!!.

– يعني تقبلتني؟

= نزعتكُ مني لامستَ روحي فأحرقتها انتظرت منك اعتذار وحيد لكنك تأخرت، آذيت قلبي ولا غفران لذلك، شرّعتُ إليكَ نافذة مني لكني لم ولن أدُلكَ على الباب.

– ستبقى أسيرًا لي ولو ناضلت لألفِ عام لن تحصل على طمأنينةٍ واحدة.

= أتُحاول إرباكي بالماضي؟ أنا الذي سار باحثًا عن طمأنينة واحدة وعندما وصل إلى الباب المرجو استدار وعادَ بخُطًى ثابتة.

~ هذا ما يفعله الخذلان.

تلك الدروس المؤلمة ليتها كانت من غريب بل كانت من الذين ضممتهم وسط أجنحتي لذلك لا خوف من غريب، أنا اليوم حريص. أكملتُ السيرَ مع حشد العقلاء وتركتُ حشد القطيع ومضيت بسماء الله وبالله شُفيت، واليوم علمتُ أن غَضَبْ السجّان جعلَهُ يحرق القضبان وانتقم المقص للقُضبان فكان نصيبه بترًا لكل الأعضاء، الظالم تحدى الله ومن يتجرأ على تحدي الله؟ جميع كسوري أنا رممتها من بعد الله وانتهى عزائي ولم أتذكر من احتضن حزني الأول وصدقه، وشُفيت من مرض الروح ولم أجد ذكرى واحده بأني استندتُ على شيء، كنتُ يتيمًا بجميع أحزاني، غايتي اليوم أن يبقى هذا القلب آمنًا من العبث يُحلق عاليًا لا يسير أرضًا إلا إذا تحديتني بذلك سأواجه أمثالك وأُنهيك.. بكل عزه وقوه وشموخ أنا اليوم أُدرك قدْر نفسي جيدًا لقد تخلّيت عن كل من أذاني وعاد متوسلًا وبجوفه لهيبَ حقدٍ فالمقام لا يليقُ بالمقام ولا سُمو النَفس بالنَفس يُقاس.

~ شعرتُ وكأني أُخاطب نفسي.

لماذا لا تُجيب بعد كل هذا؟ وأين الفحيح الذي كالشيطان؟

ليخرج ما بقي من سُمِّك...

نظرتُ إلى الأُفعوان نظرةَ نصرٍ ممزوجةٍ بدموعِ فرح وأخيرًا جُبرت هذا وعدُ ربي للصابرين، قُطع لسانهُ بسكينِ سجانٍ أرادَ التداوي بسُمّهِ وبقي طريحًا يدوسه كل الدوابً، لطبيعةِ الكون غضَبْها وعدْلِها أيضًا.

هبه الفقرا

عندما تستيقظ الروح

~ رحلة الوعي والأدراك

في ليلةٍ صاخبةٍ مليئةٍ بالفَوْضى وصوت الرّياح الّذي يعصف بالمكانِ مع الوابل الآتي من السّماءِ وفي أحد منازلِ العاصمة، يجلسُ غيث صاحب الملامح الحادة والعيون الّتي عندما تنظر إليها تغرق بها من شدّةِ زُرقتِها على شرفةِ منزلِه يحتسي القهوة، ينظرُ بطريقةٍ مُتعجرفة للنّاسِ الّتي تتراكض في الطّرقاتِ لتتوارى عن أنظارِ المطر، فقد كان كالجُندي الّذي يطلق وابل من الرّصاصِ نحوهم، ويظنّ بينه وبين نفسه بأنهُ أفضل منهم في كُلِّ شيء، سمع صوتًا آتٍ من بابِ منزلِه، صوت هذهِ الطرقات على الباب تستفزُ حتى أبرد النّاس وأكثرهم صبرًا، صاح بالطّارقِ: "قادم.. قادم"، فتح الباب ليتفاجئ بزائرٍ طويل القامة ذي ملامح غريبة مهما حاول البحث بها عن روحٍ فشل، قال لهُ بطريقةٍ غاضبةٍ ومتوترةٍ:

– من أنت؟ وماذا تفعل امام منزلي!

= من أنا! أيعقل بأنكَ لم تتعرف عليّ!

دفعه بيدِه ودخل المنزل وهُوَ يتجول به ويعبث بكُلِّ ما يراه.

– لا لم أتعرف عليك وأقسم بأنكَ إن لم تخرج الآن سأبرحك ضربًا.

= حسنًا سأجيب عن سؤالك بالبداية "من أنا؟"، ما أنا إلا شخص تاه وغرق في أبعادِ الحياة، أنا شخص يبتغي ما يصعب عليه دون إقدام أو تخطيط، لا أمشي على نهجٍ مُعينٍ، حياتي مليئة بالفَوْضى والدّمار، أحاول التّغير، أحاول وأحاول ولكن دون جدوى! أحتاج إلى إرشاد، أحتاج إلى من يمسكني من يدي ويرشدني فلا أزال ضعيفًا في مواجهةِ الحياة، لم يجدوا لي خصمًا أضعف، هذا أنا أو بالأحرى هذا ما كنت أنت؛ فاخبرني هل تغيرت؟ هل وجدت من يرشدك؟ أم ما زلت تشكي وتبكي وتلوم هذا وذاك! ألا زلت تلك الشّخصية الحمقاء التي تظن بأنها أفضل من جميع من حولها؟

رد عليه بفزعٍ:

– ماذا تعني! لا.. أنا متأكد بأنك لا تملك عقل.

تقدم نحوهُ ورفع يده كي يضربه لكن عبرت يده من خلاله.

= أتتجرأ بأن ترفع يدك في وجهي من تظنّ نفسك!

– ما الّذي يحدث كيف تفعل ذلك!

= ألا يستطيع عقلك الصّغير فهم وتحليل ما يحدث الآن؟ يا للعارِ حسنًا سأجاوبك بطريقةٍ أخرى، ما أنا إلا جزء منك في الماضي رفضت التّخلي عنه ولكن نفيته إلى أعمقِ أجزاء نفسك، أما بالنسبة لسبب قدومي فيجب عليك توجيه هذا السّؤال لنفسِك فأنت من استحضرتني اليوم وأن لم يخب ظني فأنت تريدني أن أحررك من قيودِ الماضي الّتي قيدتُكَ بها وما زلت أسيرًا لها حتى هذهِ اللحظة، لا تتدّعي الجهل والغباء فأنت من دعوتني وكنت تعلم من الزّائر من دون أن تسأل فأخبرني لِمَ يجدرُ بي أن أحررك يجب أن تستحق عفوك، وهل تظن أنك إذا تغيرت قليلًا وبدأت ترتدي رداء الثّقافة بأنكَ تستحق العفو! قل لي أخبرني لِمَ أنت صامت هل ابتلع القط لسانك؟

~ أغلق الهاتف وغمغم بينه وبين نفسه: معه حق مالي أدّعي الجهل أيعقل بأنني لم أكن مستعدًا لهذهِ المواجهة! لا أدري ماذا يجدر بي القول!

= حسنًا سأساعدك أنا من سيوجه الأسئلة وأنت من سيجيب، فالبداية ماذا تريد أن تصبح في المُستقبل؟

– لا أعلم.

= أتمازحني! كيف لا تعلم؟ ماذا تريد أن تصبح! ألهذا الحد انجرفت! ماذا عن هدفك بأن تصبح طيار؟ أنسَ الطّيار، ماذا عن هدفك بأن تصبح مبرمج وتكمل دراستك خارجًا؟

– لا أدري بصدق لا زلت أريد أن أكمل دراستي خارجًا ولكن لا أعلم ماذا أريد أن أصبح.

= وعلى أي أساس إذًا ستدرس خارجًا هذا إن استطعت إكمال الدّراسة من الأساس! ولكن اخبرني على أي أساس ترى بأنك أفضل من جميع من حولك ما هي مقاييسك؟ ما هي معاييرك؟ أنني أجهل حتى إن كان لديك ذرة جيدة بداخلك.

– لا أدري.. لا أدري، أنني فقط افضل من الجميع فأنا أملك الجمال والذّكاء والوعي، أملك سيطرة كاملة على اعصابي.

لم يسبق لي أن رأيت أحدًا مثل شخصيتي ومواصفاتي.

= أضحكتني قلت لي سيطرة على الأعصاب! ماذا أيضًا؟ الذكاء والجمال! هذهِ مشكلة يجب عليك التفكير بها جيدًا لأنها ستتعبك بالمُستقبل في حالتك هذهِ لن تستطيع التّطور ستبقى في موضعِك طالما بقي هذا الغرور معك.

~ بقيَ غيث صامتًا دون التّفوه بحرف.

= حسنًا ماذا عن أحلامك اخبرني ماذا حلَّ بها، ما هي طموحاتك كيف تتخيل مُستقبلك؟

– حسنًا، بأن أكون بكاملِ صحتي وأكون مقتدرًا ماديًا، لدي ناس يحبوني، أملك حدودًا لا أحد يتعداها، افعل ما يحلو لي، اتنقل بين البلدان وابتا ع ما اشتهي متى اشتهي، أجرب شتى المغامرات.

= رائع لديك أحلامٌ رائعة ولكن أسمح لي أن أسألك، كيف ستحققها بحالتك هذه! يجب ان تتدارك لأمورك وإلا فأنني سأكون من الشّاهدين على هلاكك.

~ أجابه بحرقةٍ واختناق:

– أتظنني راضٍ بمَّ يحدث! لقد جربت شتى الوسائل، حاولت وحاولت وحاولت ولكن بدون أدنى جدوى، لقد تعبت من كثرةِ السّقوط لم استطع حتى الآن إحراز أي تقدم، إنني أحارب التّيار ولكن دون فائدة فقد أبذل الجهد، بحثتُ عن ذاتي في شتى الوسائل والأساليب حاولت تحديد أهدافي بكُلِّ الطّرق ولكن لا يوجد أي أمل لقد استنزفت كُلّ طاقتي، إنني عالق بدوامةٍ أحاول الخروج منها، أريدُ الخروج ولكن لا أستطيع!

= أنني أشعرُ بك ففي النّهاية نحنُ واحد، إن كنت سأقول لك شيئًا فهو ألا تيأس، لا يجب أن تسمح بالضّعف والكسل والعجرفة بأن يتسللوا لداخلِك، وفي

حال حدث وتسللوا يجب أن تبيدهم بأسرعٍ شكلٍ ممكن وإلا أنت من سيكون النّادم، لا تأخذ كلامي بطريقةٍ سلبيةٍ فكُلّ ما أريدهُ هُوَ رؤيتك وأنت تحقق أحلامك وإن تُسعد نفسك ومن حولك، أتظن بأنَّ القيود الّتي تلتفُ حولك الآن هي فقد قيودي! أمعن النّظر وسترى سلاسل مختلفة وإن أردت التّخلص منها فصدقني ستحتاج أضعاف الجهد الّذي تبذلهُ معي لعلَّ اغلظها هي القيود الّتي سلسلتك بها موطنك مع أول يوم لك في هذهِ الحياة.. قبل أن أذهب أوصيك بنفسك وبمن تحب أرجو في المرةِ القادمة الّتي تستحضرني بها بأن تكون تغيرت للأفضل إلى اللقاء.

~ ناداه وعيناه اغرورقت بالدّموع:

– أنتظر اخبرني على الأقل بالحل، اخبرني كيف.. كيف سأزيل القيود الأخرى أن لم استطع بأن أزيل أبسطها؟

ذهب وتركني أحارب أفكاري وحيدًا، كيف أقول للصّمتِ إني أصرخ داخلي؟ كيف أقول للنار إنني اشتعل بدونها؟ كيف أقول للبحرِ إني أغرق على اليابسة؟ خطرت لي فكرة وعلمت ماذا

يجدر بي أن أفعل، جلبت ورقة وقلم وبدأتُ بالكتابةِ، انغمست بها لدرجةِ أنني بدأتِ أشعر بإنني انغمست بها وأصبحنا كيانًا واحدًا، وبالنّهايةِ هذا ما استطعت كتابتهُ:

يجب عليَّ مراجعة حياتي بشكلٍ جدّي، أقل ما يُقال عني شخص كسول مغرور مُتخاذل، كيف وصلتُ لهذا الحد! لا أدري بالفعل أنا فقط استيقظتُ ووجدت نفسي في هذهِ المرحلة يتم سؤالي ماذا تريد أن تصبح في المُستقبل؟ وأتعلمون ما إجابتي؟ لا أدري!! أيُعقل أن يكون شخص في عمري ووعيي لا يدري ماذا يريد أن يصبح في المُستقبل! ماذا عن التّخطيط والحلم بالمُستقبل الخاص بي أشعر بأنني كنتُ أقوم فقط بخداعِ نفسي، كتبتُ قبل شهر مقولة ألا وهي:

"ما أسهل الجرح الآن على الجرح في مرحلةٍ أكبر، كُلّما طالت غفوتك زادت صعوبة إيقاظك وزادت معها صدمة استيقاظك" ولكن عجبًا لسّخريةِ الحياة!! فأنا لم أتوقع أبدًا بإنني كنتُ بغفوةٍ عندما كتبتها كنتُ

أظن بأنني في المنطقة الآمنة، بأنني كنتُ في مرحلةِ الادراك! لكن وللأسف كنتُ مخطئًا لرُبما لم تتوفر لدي القوة والعزيمة المُناسبة لاستيقاظ، ما الحل؟ كيف سأخرج من هذا المُستنقع لقد تغلغل التّلوث إلى أعماقي وتسلل التّعجرف والكبر والتّجبر فاستطاعوا سلب الحكم من التّواضع والصّغر والرّحمة وغيروا دساتير مملكتي وقاموا بقمعِ المشاعر عندما حاولوا التّمرد، المشكلة بأنني من ساعدتهم على أخذِ الحكم، أنا بيدي من أدخلتهم مملكتي ودسستهم في البلاطِ الملكيّ فاستطاعوا بسهولةٍ وبفضلي باحتلالي، وأعلنوا الحرب على الممالك الأخرى ظنًّا منهم بأنهم الأفضل! وضعتُ الورقة جانبًا وبدأتُ أتأمل السّماء بصمتٍ، إلى أن بدأتُ أشعرُ ببرودةٍ غريبةٍ بصدّري، هُناك شيءٌ مختلف أشعرُ بالرّاحةِ والسّلامِ، كنتُ قد نسيتُ وقع هذا الشّعور، أيُعقلُ بأنهُ يحدث! هل استطعت التّخلص من أحد القيود لعلَّ المشكلة كانت بعدمِ اعترافي بمشاكلي! جلستُ وقد بلغت نشوتي ذروتها أردتُ البقاء هكذا أعدّ الدّهر ولكن لا شيء يدوم للأبد؛ إذ أسمع اصوات رنين غريبة،

بدأت الأرض من حولي تهتز وتتلاشى، سقطت في هاوية، رأيتُ شخصًا يقتربُ مني تعرفت عليه سريعًا فلم يمضِ على لقائنا الكثير، لم ينبس ببنت شفه فقط اقترب مني ونفخ بصدري وكأنه يعلن رضاه عني، بدأ بعدها بالتّلاشي كما تلاشى كُلّ شيء آخر، لم أرَ أو أسمع بعدها أي شيء، أفقتُ هَلِعًا ولكن بنفسِ اللحظةِ مطمئنًا، لا أدري كيف أوصف لكم الشّعور، هل يُعقل بأنَّ كُلّ ما حدث معي كان كابوس! ولكني أذكر جميع التّفاصيل، أذكرُ كُلّ الحوار، بل وما زلت أشعرُ بنفختِه بصدري، أعتقد بأنني قرأتُ عن شيءٍ مُماثل قبلًا عن دراسة وجدت بأنَّ بعض كوابيس النّوم تكون عكس الصّورة العامة فهي تساعد على تهيئتنا لمواجهةِ مصاعب الحياة، ولكن إن كنتُ أعلم شيئًا فهو أمرًا واحدًا بأنني يجب علي إعادة النّظر بأسلوبِ حياتي وأعاهدك يا أنا بأني لن أخيب ظنك، سأبدأ بتطهيرِ التّلوث واسترداد الحكم، في النّهاية أعتقد بأنَّ كُلّ مشاكلنا وأغلاطنا تبدأ بالزّوالِ حتى نعترف بها.

نذير محمد باكير

ثلاثون ربيعًا

اليوم الخامس من آذار يصادف عيد ميلادي الثلاثون لقد انهيت عامي التاسع والعشرون، سأودع عقدي الثالث وأبدأ مرحلة جديدة من عمري، في أعوامي السابقة وبالأخص عندما كنت صغيرة كنت أستيقظ في يوم ميلادي وأنا على يقين بأن العالم أجمع على علم بيوم مولدي، كنت أنظر بوجوه من أصادفهم في ذلك اليوم، وأنتظر معايدتهم لي، فأول المعيدين لي أمي ثم أخوتي وخالاتي وصديقاتي والأقارب، أمي ليومنا هذا وهي تحتفل بيوم ميلادي حبًا وجبرًا لخاطري، تحتفل بقالب من كيك من صنع يديها الجميلتين، وبعدما تزوجتُ أصبح زوجي من يحتفل بيوم ميلادي، كان شعور هذا اليوم غير كُل مشاعر الفرح، له مذاق خاص وفرحة مميزة، كنت أشعر بالفرح حتى لو لم أحصل على هدية كنت أكتفي بشعور أني سأكبر وأفرح بتلك الفكرة الرائعة، ولكن الذي حدث في يوم ميلادي الثلاثون عكس كل أعوامي السابقة كلما أفكر بأنه اقترب أكتئب وأبكي وكأنه عامي الأخير، وفي يوم الرابع من أذار عند الساعة

الحادية عشر وخمسة وخمسون دقيقة أخذت أنظر إلى هاتفي عندما دقت الساعة الثانية عشر وتغير التاريخ الى الخامس من آذار، بدأت دموعي تذرف وابكي وقضيت على هذا الحال ساعتين تقريبًا، ثم نهضت من فراشي وغسلت وجهي وعدت إلى فراشي معي كأس من ماء، اخذت اول رشفة ثم نظرت بالكأس فرأيت انعكاس وجهي وكانت عيناي تنظران لي، وكأنهما يواسياني في أول يوم من عامي الثلاثون. وبدأت محادثة بيني وبين نفسي والتي سأسميها الحكيمة الساكنة بداخلي وإذ بها تقول:

– لماذا كل هذا البكاء؟ ما الذي حدث لك؟

= لا أعلم!

– لا يمكنك القول بأنك لا تعلمين، أريد إجابة! لماذا هذا البكاء؟

~ أخذت أفكر، لماذا أنا أبكي؟ ولماذا هذه المشاعر السلبية؟ وجدت إجابة واحدة، وكأن جميع الأسباب تنكرت بها، وهي: "أنه منذ عامي الخامس والعشرون

لم اشعر بعمري، لم اشعر بأخر خمس سنينٍ مضت، ومنهما سنتين كورونا التي قضيتهم بالخوف والرعب على نفسي وأحبتي من المرض، ثم قضيت سنتين في حزن شديد على فقد أعزاء على قلبي رحمهما الله" ردت الحكيمة قائلة:

– كيف لم تشعري بذلك العمر؟

= كنت أحلم بحياة سعيدة، كنت أتوقع عند دخولي سن الثلاثون اكون قد حققت جميع احلامي طموحاتي، ها أنا قد مضى نصف عمري وأنا في مكاني لم أتحرك شيئًا.

– كيف لم تحققي شيء؟ أنتِ الآن أصبحت أم وزوجة، لديك طفلين في المدرسة مجتهدين، وقمتِ على رعايتهم وتربيتهم وأسستِ مؤسستك، أنتِ اليوم قائدة في بيتك، هذا ليس نجاحًا!

أستنكر وأقول:

= لكن هذا نجاح الكل يقوم به من تلقاء نفسه لأنه سُنة الحياة، أنا أقصد بأني لم أحقق شيءٌ لي، لم أطور من ذاتي وألتحق

بوظيفة، أنا اليوم أعيش بواقع لم أتوقعه أو أخطط له، أعيش عكس كُل شيء كنت احلم به أو أرغبه.

– نعم معك حق، انت لم تحققي شيء من الذي حلمتي به؛ لأنك أنتِ لا تعلمين بالغيب أن الله مقدر كل شيء، انت سعيتي لكن لم يتحقق شيء، وهذا ليس بتقصير منك بل هذه الحياة. الحياة ليست ورقة بيضاء وانت ترسمين عليها احلامك وتلونيها بألوانك الجميلة البراقة.

= نعم صحيح، ولكن ماذا تغير بحياتي؟ ماذا حققت؟

– سأخبرك، أو سأسألك وانتِ أجيبي.. هل انتِ نفس الشخص الذي كان منذ عشر سنوات؟

= نعم، انا نفس الشخص!

– لا، لم اقصد ذلك حرفيًا.. بل أقصد هل انتِ نفس الشخص من حيث الأفكار والأولويات والمبادئ؟

= امممم، بصراحة! لا.. بعض الاحيان أغضب من نفسي لأني لم أعد كما كنت تلك الفتاة البسيطة العفوية.

– نعم، هل هذا برأيك شيء سيء؟

= لا أعلم بعض الأحيان اشعر بأنه جيد عندما تأخذ حقك وتكون حازم في مواقف معينة لم تكن بالماضي تستطيع الرد عليها خوفا من غضب من حولك وبالأخص عندما يكونون من المقربين لك.

– هل تعلمين ان هذا أفضل من الحصول على وظيفة او على المال والمراتب العليا التي كنت تحلمين بها! أنت لم تكوني جاهزة لخوض معارك الحياة بسذاجتك وعفويتك التي كنت عليها، والحياة احتاجت منك ثلاثون عامًا حتى تعلمك ذلك، انتِ لم تكوني على استعداد على تحقيق أحلامك؛ لأنكِ كنتِ هشة، هذه القساوة التي كسبتها هي سلاحك التي ستحققين به احلامك لان الحياة مليئة بالمتسلطين وألانانيين وليست كما اخبرونا بالماضي بأن العالم كله اشخاص طيبين ويحملون قلوب بيضاء ويتمنى لك الخير، في يومنا هذا قلة من يتمنى لك الخير.

= أجل علمت ذلك متأخر بعدما ظننت اني خسرت الكثير من الاصدقاء والاقارب.

– أنتِ لم تخسري أحد، بل الحياة وضعتهم في طريقك لتتعلمي منهم ومن معاملتهم الدروس التي لم تفهميها من عبر الكبار والاجداد ،كان مع كل شخص رسالة تم ايصالها لك لتتعلمي منها.

= واكثر شيء تعلمت منه الصبر كان الموت عندما ماتوا الذين عشنا معهم يوم بيوم وتقاسمنا افراحنا واحزاننا سويتا ذهبوا تاركين فراغا كبيرا في قلوبنا.. أشعر بأن لدي الرغبة بالبكاء مره اخرى.

– نعم أبكي هذه جرعات تقبل الفراق لأنه ما زال هناك من ستفارقينهم أقرب اليك منهم.

= لا أريد التفكير بذلك.

– لا عليك..

= احلامي كانت بسيطة لا تريد المعجزات لتحصل.. كنت اتوقع الحصول عليها بسهولة وعندما عشت الواقع شعرت بالعجز والخذلان.

– سأتكلم معك بصراحة احلامك اكثرها انت لم

تضعيها أو حلمت بها، بل كانت احلام غيرك ووضعت لك من قبل المحبين لك.

= كيف ذلك!

– أنتِ كنتِ تحلمي بتحقيق احلام والدك بأن تكوني انسانة قيادية قوية ذات شخصية شجاعة، كشخصيته المفضلة التي كان يحبها ويتعلق بها جدته التي اسماكِ على اسمها.

= وأنا أيضًا أحب أن اكون كذلك..

– جميع البشر يحبون ذلك، لكنكِ انتِ شخصية لطيفة مهما حاولتِ تغيير ذلك لن تكوني مثلها، وأيضًا كنتِ تحلمين بأن تكوني الشخصية المؤثرة المعطاءة، التي تعمل بالتطوع وتقدم المساعدات للمحتاجين وتقوم بتحقيق احلام الاخرين كما أمكِ كانت ترغب ان ترى نفسها، أمكِ بطبيعتها معطاءة وتحب الخير للغير، وانا لا أقول بأنكِ لستِ هكذا ولكن هذا الشيء اخسركِ التفكير بنفسكِ، بعض الاحيان العطاء يجب ان يكون لك انتِ قبل الغير والمساعدة أيضًا لكِ أنتِ، وعند الاكتفاء والراحة نقدم للغير ما نستطيع تقديمه؛ لأنكِ اذا قدمتِ اكثر من طاقتك انتِ

هنا تضحين بنفسكِ وتهلكيها وبعد ذلك تشعرين بالخذلان من الاشخاص الذين قدمتِ لهم ذلك وتنقلب الامور عكس ما كنتِ تتوقعين؛ فتنظري للأشخاص بأنهم استغلوا طيبتك وينشأ الكره، وهم ابرياء من ذلك لأنكِ أنتِ من قدمتِ لهم بالمجان وهم اخذوا ولم يُطلب منهم اي شيء بالمُقابل ليردوه لكِ.

= بالفعل هذا ما حدث معي.

– وعندما جاء وقت القرار الأول بحياتك هو اختيار التخصص وماذا ستكملين حياتك بأي مهنة ستعملين بالمستقبل.. أوقفتِ عقلكِ عن التفكير وتبنيتي فكرة اخاكِ بأن تكوني ممرضة بارعة من دون اي دراسة لها وانت تعلمين جيدًا بأنكِ سيغمى عليكِ عندما ترين الدم، وكم من مرة ساندكِ زوجكِ عند دخول المستشفى لزيارة اقاربكم المرضى لم تفكري بضعف قلبكِ وعدم تحملك رؤية الاشخاص تتألم، لكن من السهل تبني حلم من ان تفكري بعمق، ولكن شاء القدر وتدرسي شيء آخر

لان الحياة دائمًا تتدخل لتنقذنا من أنفسنا، أنتِ يا عزيزتي لم تحلمي بأي حلم، أنتِ كنتِ على وهم بأن لديكِ أحلام، اليوم هو عيد ميلادك الثلاثون، كان بالنسبة لكِ مثل صفعة الكف لتصحي على نفسكِ وتنهضي من كومة الأوهام التي كنتِ تعيشين بها، اجعلي عامكِ هذا هو العام الاول من عمرك وابدئي من اليوم بوضع احلامكِ وخططي لها بوضع الاهداف والسعي تحقيقها، كفكفي تلك الدموع واستقبلي عيدك بفرح وحب هذا عامك الاول الحقيقي.

***

بعد هذا الحوار الذي دار في رأسي.. شعرت بالرضى من واقعي وتقبلت عامي الثلاثون بحب لأني اصبحت انسانة أخرى، كم احببتُ نفسي التي نضجت، واصبحت أوعى أحببت تلك الافكار التي تغيرت لدي بأن كل شيء مرَّ في حياتي كان درس لي حتى أني احببت الذين غدروا أكثر من الاشخاص الطيبين لأن دروسهم هي التي غيرتني، وأصبحت اعلم بأن لكل شيء نهاية، الاشخاص والمشاعر والوقت حتى الحياة لها نقطة نهاية...

لذلك كل يوم سيأتي سيكون غالٍ على قلبي وكأنه أول يوم وأخر يوم بعمري.. سأعمل بحب وأقدم بكرم وعند المواقف الصعبة سأحزم بشدة..

الآن الساعة الرابعة والنصف صباحً من يوم ميلادي سأكتب معايدة لنفسي:

"صباح الخير جميلتي، انتِ اليوم أنهيت عامكِ الثلاثون، أنتِ اليوم عشتِ ثلاثون ربيعًا، خُلقتِ مع تبسم الحياة وتفتح الورود وازهار الكرز واللوز، وخروج الفراشات من شرنقتها، أتيتِ إلى هذه الحياة مع كل شيء جميل مع نسيم الربيع المنعش، لم تكن تلك صدفة بل بأن الخالق أرادني أن أكون بداية شيء جميل بالحياة.. لذلك أنتِ إنسانة رائعة كروعة الربيع جميلة كجمال الورد.. كل عام وانتِ بخير."

كل عام وأنا الأجمل والأقوى والأذكى.

نوره محمد أبوغنمي

أخر ما قيل

– أنراها؟

= نعم إنها نحن

– هل تلحظُ وجودَنا؟

= بالطَّبعِ لا عليكَ نحنُ نمثِّلُها قَديمًا وحاضرًا

– لماذا تصرخُ إذًا؟

= لأنَّها متعبةً!

– ألا تَحتضنها عائلتُها إلا ويلاحظون أنَّ عيناها قَد تلوَّنت بالدَّم؟

= لكنَّها عنيدةً لقد قالت لهم: أنَّها بخير! لكنَّها ليست كَذلك.

– اعلم، هل سنسكُت؟

= أخشى عَليها من نفسِها، لن أسكتْ أنا من سَيواسيها، إنَّها تُصغِي إليَّ دائمًا، أتذكُر؟

– أذكُر، لكنَّها تغيَّرت احذَر.

– جَميلتي، ما الخطبُ أيَّتُها الجميلة؟ أجِيبي، أعلمُ أنَّكِ تَسمعِيني، هيَّا أخبريني ما هذا الشُّحوب؟

~ إنَّها تتجاهلُني!

= لا عَليكْ، دَعني وإيَّاها علَّها تُصغي إليَّ:

يَا فتاتي، مَا بكِ؟ أرى أنَّكِ تَحمِلينَ من الدُّنيا ما لا تُطيقين، لم تَكونِي هَكذا بالمَاضي، أينَ فتاتي الحَالمة، أرجوكِ أَجيبي نحنُ قَلقونَ عليكِ، دَعكِ مِن الماضي لا تُبقِ شيئًا منه، حتَّى أنا لا أصدِّقُ أنَّني الفتاةُ ذاتَها التي تَواجدت بالماضي، لا تَفعلي هذا، أَنتِ فتاةٌ قويةٌ، هَكذا هِيَ الحَياة الجميع يعاني فيها يا صَغيرتي.

–= أتعلمُ أنِّي أخجل ممَّا أنا عليه! لقد تدمَّرتُ بشكلٍ قاسٍ وَواضح لم يَعد لي شيئًا، فقدتُ الأحلامَ والأحِبَّاء، هجرتُ العائلةَ والأصدقاء، حتَّى نَفسي سُلِبَتْ مِنها الرُّوح لم يبقَ سِوى الجَسد.

= كلُّ شيء يمكنُ أن يصبحَ بخيرٍ، نحنُ كالشَّجرِ ألا ترينَ أنَّه يتساقطُ خريفًا ويزهرُ ربيعًا! هي الأيَّامُ ستسيرُ وتَمضي، لا شيء واجبٌ سِوى الاستمرار، أرجوكِ لا تفعلي هذا.

– لماذا أجبته أأصبحَ رفيقك؟ ألم أكُن أنا؟

–= أتعلم!

– ماذا؟

–= أنتَ أكبرُ سوءٍ لي بهذه الرِّحلة.

– أنا!

–= نَعم أنت، لقد أنهَيتني.

– دعكِ من هرائك، ألستِ من اختارَ الاستماع إليَّ؟

–= نعم أنا ونادمةً جدًّا، يا لكَ من أحمق وجبان.

– لستُ أحمق.

–= بل أحمق وسَاذج، كل ما كنتَ تفضِّله كانَ قاتلاً لي، الفتى الذي قلتَ أنَّه يستحقُّ أن أتركَ لأجلهِ الجَامعة، والأصدقاء الذين أقنعتَني أنَّهم يستحقُّون أن أتغيَّر، أنتَ من رسمَ لِي هَذا الطَّريق

البَائس، أنتَ من صنعَ هذا الظَّلام الذي أشقَى رُوحي، لَيتني لم أُصغِ إليكَ يومًا يا ليت.

– اتركي هذا الهراء لن تنجحي برميِ الذَّنب عليَّ، لقد كنتِ سعيدةً، الآن أصبحتُ أنا السَّيء! اذهبي وأصغي لعقلِك، طفلة ساذجة تبحث عن ضحية لآثامها.

= اهدئي يا فتاتي لم يَقصد، إنه يحبُّكِ لكنَّه لا يملكُ إلا المشاعرَ، ليذهب للجحيم هو ومقاصده.. تافه.

–= لا زالَ يتحدَّث! ألا ترى الندوب أني اعتصرُ جراحًا؟ هو المُذنب، أنتَ كنتَ شاهدًا هو من مَنعني أن أُصغي إليك.

= دَعونا نترك الماضي لقد انتهى.

–= لا نستطيعْ، نحنُ الماضي أليسَ حريقَ الماضي من جعلني جمرَ الحاضر أليست نارَ الماضي من ستجعلني رمادَ المستقبل؟

نحنُ انتَهينا الفشل أصبح واقعًا، نحنُ لا نملكُ

سِوى ذكرياتٍ مشوَّهةً وحاضرًا تكسُوه المعاناة ومستقبلاً سَيقتات عليه كليهما.

= دعكِ من هذا كلَّه أصبحنا نُدرك النهاية.

ماذا ستفعلين؟

فتا.. جميل....

-= اشششششش..

سنغادر لم تعد هذه الحياة تناسبنا.

سلسبيل حمدان

إنسانٌ بِجُندي

أشعرُ أنَهُ ضيقٌ قليلا... هاا لقد دَخَل... لكن أشعر ببعض الضيقِ.. فأنا لم ألبس غِطاءً عسكرياً من قبل.

في عامٍ من زمني، خرجتُ من قاضِ الحوائج مُنتعشَ الصدرِ، نظيفَ البالِ والحال، أبحث عن مرتزقةٍ تُنشِفُ سُترَتي وعِطرٌ بعد المعركةِ ينحني، فهو غِرسٌ يُستطابُ خِلالَ السِترِ.

وصوتُ ابنتي ذات العيون البرَّاءة تُغرِّدُ بِأُذُني، وزوجتي ما زالت في قلبِ الحربِ تراقصُ الحبَ في العمل، ويبدو أن ابني يبحثُ عن شيء مفقود...

على ماذا تبحث أيها الشقي؟

فقال: **افف.. على نفسي يا أبي.**

سَمعِتُ وكأني لم أسمع، وذهبتُ لإكمالِ ما تبقى من حياتي الوردية. خرجتُ للعالمِ الخارجيّ المملوء بالغوامض، والأسرار والحقائق المخفية، والطبيعة، والجرائم، والكذب، والبكاء والمال والأرقام،

والموت، والهواءُ يَحملُ في طياتهِ كُلُّ هذا ويحمل الطائرات كذلك، من أين لَكَ ذلك رُغمَ خِفتك، ونحنُ نتحامل على كلمةٍ جارحة، على كُلِّ حال سأتزامن مع شبيهي لنتحدث قليلاً في معاجم الحياة.

صديقي عمر: أهلاً أخي، هل سنتحدث عن؟؟

نعم نعم، عن العملِ في الجيش.

عمر: لكن... أنت من رَفضتَ أن نَعملَ هناك... خَوفاً على عائلتي، ظَننتُ أنها يمكن أن تُشكِلَ تهديداً بِفُقداني.

عمر: ألم أقل لكَ أنها مُجرَدُ وظيفةٍ كبقيتها تعمل ثُم تتقاعد وتعيشُ حَياتَك الوردية.

لا أخي **فليسَ كل من ضاجَعهُ الحظ أصبحت قاعدة!**

عمر: ههه.. نبحثُ عن الضوءِ والشمسَ بأعيُنِنا!

وأحياناً تُجبِرُنا الشمسُ على تقليدِ الناسِ لنعيش

أتعلم أخي عمر؟ أحياناً في وقتِ فراغي كُنتُ أتلاعبُ بالواقع!

عمر: مجنونٌ من يفهمك! وضح ما قلت.

انظر، أقومُ بلباسِ ثوبَ الجنةِ مُرغَداً بالريفِ مُبعَداً عن عيونِ الناس، وتملِكُ منزِلاً مُرفهاً راقياً يُغطي مراغبَ الجمال، وحولهُ الخَضارُ فاقِعٌ لونهُ يَسرُ الناظرين، وهواءٌ عليلٌ إن شَهِقتَ زارَتكَ الحياة، ونهرٌ يُلذذُ بماءِ الحلةِ مُبهماً عن الأكنة، والرهلُ يُغطي على معصمهِ القليلُ من الظلِّ على خيلٍ بيضاءٍ وبياضُ الخيلِ من ظِلِّها، ودواءٌ تَجسَّدَ بنهرٍ يُخمِرُ العيونَ غضاضَاً ليسَ بِمُرٍّ، وتزيدُ الأناقةُ مرتبةً بهطولِ الملاك الأبيض ببرودتهِ تُبردُ الجَسَدَ وتُدفِئُ القَلبَ بِرُقيه، وكلبٌ تتكالبُ عليهِ صِفات الوفاءِ بِرفقتهِ، وعالمٌ عاقلٌ لا يؤذي جنةَ الله الورقية، لكن أصرَّ الجاني أن يُضحّي بالضحية، ويأُخذَ الأجر في آنٍ واحد، وفوق الحُلُمِ حُلُماً بِزوجَةٍ حَسِنَةَ الوجهِ تَتَنازلُ وتتقبلُ وتكونُ سعيدةً وسعادةً لسعادَتي في حُلُمٍ تَدَاعى النهاية السعيدة، وكم تمنيتُ أن يختارَ الناسُ أشكالهم ومكانَ محضَرِهِم، وتُتقى الحياةُ بمن فيها من شرٍ إن يبدأ من خُنصُرِ القدمِ ثم يَنتَشِرُ خبيثاً في

مجامل الجسد، وتُقطَعُ القدمُ بمن فيها من سليمٍ لمرضٍ كان مصدَراً للحسد.

كفاكُم إنجاباً أيها المُجرِمون، فَمِنَ الناسِ من فَقَدَ الحياةَ وما يُحب بسببِ مُداعبي الفراغ تَحتَ مُسمى أحضان القدر.

عمر!.. سأبكي... أنا مُجرَدُ إنسانٍ بسيط يبحث عن.؟ الحياة الكريمة بِشكلٍ حرفي، ومسكين وتابع وضعيف همُّهُ الجو اللطيف، لكن.. **لم يعلم الخيال أنَّ النهايات السعيدة كِذبةٌ من أكاذيبِ التمني.**

أهذه يا عمر ما تحتاجهُ ال أنا؟! أهذه ما تَحلمُ بهِ كلُّ نفسٍ بشرية؟

عمر: نعم أخي، فالبساطةُ هي عنوانُ أبناءَ الحياة وإن اختلف الريف، وها أنتَ عِشتَ السعادةَ بما تَحلم وتعايشتَ بالواقع بما تعلم.

كم أنتَ رائع يا عمر.. **ولَعلَ أن أستعيشَ بالوهمِ سعيداً خيرٌ لي من الواقعِ كئيباً.**

مرحباً، هل يمكنني أن أكونَ عُضواً بالجيش؟

نعم، لكن يجب أن تَتبِعَ التعليمات فَورَ انتهاءكَ من الأوراق.

وما هيَ أخي؟

أولاً أنا سيّدُكَ، ثانياً هل أنتَ مستعدٌ لتُضحي بِأغلى ما تملك؟

اعتذر سيّدي، ولكن أُضحي بِمثلِ ماذا لأجلِ ماذا؟

ثالثاً لا تعتذر لي، رابعاً لا تسأل كثيراً.

ههه، وخامِساً؟

تُضَحّي بكبريائك وبِعُمَر.

الكبرياء أُكِلَ في عيدِ الفطرِ لِإطعام عائلتي، وعمر أن نُضحّي بِهِ لماذا؟

الضابط: افعل ما تؤمر سَتجدُ نَفسَكَ من الصابرين.

وبِوَقتِكَ الذي لطالما كان رَفاهيةٍ لك، وأن تُكرّسَ الـ **أنا**، وأن تُضَحي بحياتِك التي لا قيمةَ لها... عفواً عفواً على المصطلح وليسَ "عُذراً"، وكلٌّ هذا يُقدم باستحياء لولي الشأن والوطن...أقصد للوطن وولي الشأن فهل قبلت؟...

وها أنا أُحدِثُ نَفسي وأُشاوِرُها...هل نُقدم؟.. فهذهِ الفرصة لا تَدقُ جميعَ الأبواب! **والرأسُ المرفوع لا يُطعم معدةً جائعة**.. نعم، سَأُوافق وإن كلَفَني كلُّ ذلك، فتقدمُ مَصلحَةِ عائلتي تؤذِنُ لي ببيعِ ما أملك حتى وإن كانت حياتي **فَإني ميتٌ وإنهم لميتون**.

وضَربتْ أوتارُ دماغي تُرَاقِصُ الأَرَقَ جَنبً على جَنبٍ، سارَ الزمانُ على أشُدهِ، وارتفعَت قيمةُ الراحة، وأشرقَ الوقتُ يتفادى مُلاقاتي، وها أنا ألوحُ بظروف الحياةِ صبراً على مجازِرها.

زنا الماضي وأنجَبَ الحاضر وأَخَذَ شِهادة المستقبل وأنا دَفعتُ فاتورةَ الوقت، صَحوتُ فاليومِ التالي على خبرِ حربٍ قد تَداعت لها من الخليفتين، لم أتوقع مجيء يوماً كهذا، تباً، ظننتُ أنها ستبقى وظيفة وأتقاعد كغيرِها من الوظائف.. هل حانَ الوقت للقتلِ وقتلي؟ أم أنها حربٌ باردةٌ لا تسمن ولا تُغني من جوع؟ ماذا سأفعل بأطفالي وزوجتي؟ أقصد زوجتي وأطفالي! لماذاا علي التضحية بشيء لماذا؟..

أشعُرُ بالدُوار وصُداعٍ حاد، وهَمَساتُ صوتي.....فوالله إنهُ صوتي وكأنَ أحَداً يحادُثني، إنهُ منخفض، يبدو أنني وقعتُ في أمواج الكآبة والهوس يجب أن أخرُجَ من هنا حالاً قبلَ أن أُصبحَ ضحيةً لها.. **وهل نستطيع التهرب من دورِ الضحية؟؟**

وها هُنا صَديقي المجند أقصد سيدي يهمس بِأُذني: هل نحنُ حقاً سنموت؟ أشعر وكأنَ الوقتَ مبكرٌ، فأنا أريدُ تجربةَ مُعطيات الحياة، ورؤية زوجتي وأطفالي، ورؤية ال أنا التي لطالما كرّستُ لأجلِها.

أخي، ربما وُلدنا لِكِ نَحمِلَ هذا العبء وأن نتحمل أوزارَ غيرنا؛ فهي بالنهاية تُسمى **بمشاكِلِنا** وإن كانت صادرةً من ذوينا، في بدايةِ مشوارِنا تَخْلّينا عن أهمِّ شيء نطمحُ له.. ألا وهو ال أنا.

وأينَ العدالة من كُلِّ هذا!؟

عدالة؟! ههه.. العدالة.. يا لها من كلمةٍ جميلةٍ لخداع الضعفاء.

سأستجيبُ لهذهِ الهمسات، ولعل المجرمين يستجيبون

لهذا الأنين.

عمر: يُمكن، فكلٌ مِنا لديهِ شخصٌ داخلي يُخبِرُهُ ما الصح والأصح والخطأ بالأصح.

أحسنتَ القول، سأبتعد قليلاً عن الضوضاء سآتيك بعد قليل إن لم يخُني الوقت.

- مرحبا أخي

من أنت؟؟ أهذا ضميري؟.. ما زِلتَ حياً؟.. فقد قمتُ بالتضحيةِ بِكَ عند تسجيلي.

اسمع وبِلا ثرثرة، أنا عُمَر بِدَمِكَ الذي يفور، وعيونُكَ البصيرة، وفؤادُكَ الشَعور، وعقلُكَ بِمفاتيحِ المنطق؛ فافعل ما تؤمر ولا تكن من القانطين.

ها!؟؟!

عمر: خذْ هذا القلم واكتب على صحيفتك أنك تريدُ الخروجَ من الجيش وتُغيّر المكتوب.

أتريدُ أن أُغيّرَ القدر؟؟! لماذا!!؟

عمر: لِكِ تنجوا من الموت

لحظة!!. وكيف تعرف القدر؟

عمر: لا أعرف القدر،.. لكن ما أعرفهُ أنَّكَ ستتعلم درساً **كالذي يُسقى بِماءٍ ساخنٍ يحسبُها الظمآن ماءً حتى إذا جاءهُ لم يجدهُ شيئاً.**

مهلاً تَروّا.. لحظة..! سأُكمِلُ دربي حتى آخرِ نَفَسٍ لأجلِ هذا الوطن أيها السَرابُ العابر.

هَروَلَ هذا المسكين إلى منطقة الحربِ مُدافعاً شامِخاً غيّوراً على وطنه.. لكنهُ مُتَزعزِعَ الإيمان والثقة.

وما إن رَأى جَسَداً بلا رأسٍ، ورَأسٍ بلا جَسَدٍ، **وكأنهُ تذكَرَ مُجرِمَاً هارباً من العدالة أقرَبُ لمُنظَمَةٍ إرهابية بِغايةٍ واحدة**، وأرضٌ بلونِ عيدِ الحبِ بلا حُبٍّ حمراءٌ لونُها تَسرُّ المجرمين ، وجندي من كتيبة أُخرى ينطِقُ آخِرَ ما تبقى من حياتهِ **وكأنَهُ مُرغَما:** اذهبوا...فأنتم طُلَقَاء.

هذا الأحمق قد زَرعَ الذعر بنا و..... .

نعم... أنا الرصاصة الطائشة تقتلُ ما تشاء بغيرِ

حساب.

وانتهت الحربُ وعادَ كُلَّ حيٍّ إلى دُنياه إلى طبيعتهِ إلى روتينه.

وماذا عن التضحيات وبطل القصة؟!.. كانَوا نُبَلاءً أشاوس إذا قيلَ لهم كن فيكون.

ولاحَقَ هذا السرابُ كما يدَّعي ذَلِكَ الجُندي، مُعبِراً لَهُ ما حَدَثَ بعدَ الحرب:

فالبداية، كلُّ إنسانٍ يَدفُعُ ثَمنَ حَمَاقتِهِ في هذهِ الدنيا، وعلى إثرها تُصبحُ الحياة متوازنة ب جانٍ وأُضحية، والأشياء التي لا تستطيع التحكمُ بها فهي القدر المكتوب وما تَبقى فأنت القدر بِخيرهِ وشَرّه.

عندما عانَقتَ الموتَ شُجاعاً ومُكرَهٌ لَهُ في وَقتٍ واحد، تَداعت لَكَ الحياة الوردية، والسُمعة الطيبة، وأن العالم سيعرِفُكَ ويُّعرِفَكَ بطلاً لن تنساه الذكريات...فالواقع صحيح أنتَ قد عانَقتَ الموتَ، وما تبقى فقد دَفَعتَ ثَمنه.

انظر إلى الأرض كَيفَ هي خَضراء والشمس تدقُ بابها من جديد وكأن شيء لم يكن، والناسُ يحتفلون بالعامِ كُلَّ عام، والورد

الأحمر بِساطاً للأبطال حَسَبَ قولِهم، وها هم يتضاحكون سوياً لسوءِ الفهمِ الذي دارَ بينَهم.

بعضُ الدروسِ تؤخَذُ مجانية، وبَعضُها سَتدفَعُ مَبلغَاً رمزياً، وبَعضُها الآخر يُدفَعُ بحياتك، واتضح أن عمر ما تتحدثُ مَعهُ هو شَخصُكَ الداخلي وما حصل ما هو إلا صِراعٌ مع نفسك.

اسأل اللئيمَ عن لَذةِ العذابِ
فما يستلذهُ إلا أصحاب الحاءِ

رِفقاً بنا بما هبّتْ حوائِجُكم
دُستورٌ سارتْ عليهِ معاشِرَ الوفاء

وفى من أوفى وبعضُ الوفاءِ مذلةٌ
كمن ساقَ دَربَهُ صيامً لأصحابِ اللواء

وما لفائِدةِ الدمدمةِ بعدَ مجزرةٍ
ساق بها الحالُ لتكون معبراً للشاء

إن الحياَة لغاتٌ وعلى لُغَتِهم
قَطعتُ فَصيدي ليفهمَ أصحابُ الدماء

أطوقُ لشعورِ الجاني بعد مَلحمةٍ
كانَ ضحيةً لمحبوبهِ فِداءً للولاء

فَصَحى على قهقاعِ ولاةَ الشأنِ
لِمَ تعاركنا فنحنُ لِبَعضِنا أحباء

ومن يُعيدُ الرمادَ بعدَ محرقةٍ
سادَها البعيرُ لِجَعْلها جنةَ البيداء.

عمر محمد وهدان

الخاتمة

كان لكُلِّ شيءٍ نهاية، وكُلّ الأشياء على طريقتِها تنتهي، وورود تُطرح على أرضية المسرح بعدَ قفل السّتارة، وصوت تحية تُعنى بارتطامِ آيادٍ ببعضها بحرارة..

صنعنا الكلام بمفردِنا، بالتّجرد منا وحوارها،

والحروف والمفردات والفاصلة والنُقطة والكلام كُلّه كانَ مُلكنا، لم نكن إلا أولئك الذين أطلقوا استغاثات لأنفسِهم فاستجابوا لها، لم يكن ذلك ممكنًا حتى يُلبي بعضي النّداء، لم يكن ممكنًا إلا أن أكون أنا..

إيمان السكارنه

شكرٌ خاص

الشّكر الجزيل لفريقِ أحفاد المُتنبي
وكادر العمل ولكُلّ من ساهم
في إخراجِ هذا الكتاب
بأبهى صورةٍ
مُمكنة.